

مفهوم المواطنة من خلال مفردات الكتب المدرسية للسنوات الثلاث الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي

د/ الجوهري مودر *

جامعة مولود معمري تيزي-وزو، الجزائر: eldjouher_m@yahoo.fr

الاستلام: 2019/09/15 . تاريخ القبول: 2019/11/05 . تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص

تتناول هذه الدراسة مفهوم المواطنة من خلال مفردات الرصيد اللغوي الذي يشكل الكتب المدرسية للمراحل الأولى من التعليم الابتدائي، وكيف يتمثل هذا المفهوم خصوصاً وأنّ التربية على المواطنة من الأهداف الأساسية التي تسعى المدرسة الجزائرية إلى تحقيقها. الكلمات المفتاحية: المواطنة، الرصيد اللغوي، كتب مدرسية، التعليم الابتدائي.

A study of vocabulary of citizenship in the first three years textbooks of primary schools

Abstract :

This study deals with the concept of citizenship and its representations through the vocabulary of the linguistic background of the first three years textbooks in primary education, it is worth mentioning that citizenship education is one of the basic goals that the Algerian school seeks to achieve.

Key words : Citizenship, Language Background, Textbooks, Primary Education

* المؤلف المرسل: الجوهري مودر ، جامعة مولود معمري تيزي-وزو ، eldjouher_m@yahoo.fr

1- مقدمة:

تنطلق هذه الدراسة مما جاء في القانون التوجيهي للتربية الوطنية (رقم 04-08 المؤرخ في 23 جانفي 2008) والمتمثل في أن إصلاح المنظومة التربوية التي باشرتها وزارة التربية إنما جاءت لأسباب تتعلق بالتحويلات المسجلة في مختلف الميادين على الصعيدين الوطني والعالمي والتي تفرض نفسها على المدرسة بصفاتها جزءا لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، وفي سياق هذه التحويلات تم تحديد سياسة تربوية جديدة بإمكانها الاستجابة لطموحات الأمة، معتمدة على جملة من مبادئ، ومن أهمها ضمان التكوين على المواطنة، فالمدرسة كما يشير إليه القانون منتج المجتمع الذي تنتمي إليه، لذلك يجب أن يكون لها الطموح لتطوير هذا المجتمع في معارفه ومهاراته، كما يتعين على المدرسة تدريب التلميذ على ممارسة المواطنة الديمقراطية حتى يتمكن من العيش متمتعاً بحقوقه كطفل ومتحملاً للمسؤوليات والواجبات في المدرسة والحي والمجتمع وحتى في العالم، ويتعلم كيف يكون عنصراً فاعلاً في حياته الخاصة. وضمن هذا السياق تأتي دراستي الموسومة (مفردات المواطنة في الكتب المدرسية لمرحلة التعليم الابتدائي) لتجيب عن مجموعة من تساؤلات؛ وهي:

- هل تستجيب الكتب المدرسية لمضمون القانون التوجيهي للتربية الوطنية من أجل تحقيق مفهوم المواطنة، وبالتالي ترسيخه كسلوك لدى أبنائنا؟
- هل يخضع توزيع مفردات المواطنة لاعتبارات منهجية تأخذ في الاعتبار مستوى التلميذ، حتى يسهل عليه استضمار مفاهيمها، ويتبناها سلوكاً في حياته؟
- هل راعت المناهج المدرسية التنوع الثقافي للمجتمع الجزائري والقضايا العالمية التي تدعو التلميذ إلى احترامها، واعتبارها من الجوانب الإيجابية التي تؤهله لتقبل الآخر كيفما كان انتماءه أو جنسه؟

2- الهدف من الدراسة: أهداف إلى:

- التعرف إلى مدى توافر الكتب المدرسية على قيم المواطنة من خلال مفردات رصيدها اللغوي؛
- والكشف عن الثقائص التي تدعو إلى اقتراح بدائل.

3- عينة الدراسة: تتمثل مدونة الدراسة في قائمة من الرصيد اللغوي الخاص بالكتب المدرسية للسنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي، والذي قمت باستقصائه في دراسة سابقة أنجزتها حول علاقة مفردات هذه الكتب بعينة من معاجم مدرسية، وهنا أريد أن أركز على المفردات التي تشكل المجال المفهومي للمواطنة باعتبار مبدأ ضمان التكوين على المواطنة من أهم الغايات للمدرسة الجزائرية.

- أما سبيلي في تناول الموضوع، فتكون حسب العناصر التالية:

- تحديد معنى المواطنة لغة واصطلاحاً؛

- مبادئ المواطنة؛

- مبدأ المواطنة في المنظومة التربوية؛

- مفردات المواطنة في الكتب المدرسية للسنوات الثلاث الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي؛

- النتائج؛

- الاقتراحات.

4- المواطنة لغة واصطلاحاً: إن لفظة (مواطنة) في اللغة العربية من (واطن) وهو مزيد الجذر (وطن)، وتتفق المعاجم القديمة والحديثة في تعريفه، جاء في المعجم الوسيط: «وَطَنَ بِالْمَكَانِ (يُطِن) وَطْناً: أَقَامَ بِهِ. وَ(أُوطِنَ) الْمَكَانَ: وَطَنَ بِهِ، وَوُطِنَ الْبَلَدُ: اتَّخَذَهُ وَطْناً... والوطن مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماءه ولد به أو لم يولد... (ج) أوطان»¹ ولم يشر المعجم إلى (واطن) أما في معجم اللغة العربية، فنقرأ: «واطن يواطن، مُواطنة، فهو مواطن، والمفعول مواطناً، واطن القوم: عاش معهم في وطن واحد» و«مواطن، اسم فاعل من واطن، من نشأ معك في وطن واحد» و«مَوطِن [مفرد] ج مَوَاطِن: اسم مكان من وطين» و«وَطَنِي [مفرد] اسم منسوب إلى وطن» و«مواطنة [مفرد] مصدر واطن» وهذه الصيغة هي على (مفاعلة) التي تقيد المشاركة، وتعني الإقامة بالوطن والتعايش فيه مع الآخرين. وقد بحث محمد العابد الجابري عن لفظة (المواطنة) وانتهى إلى قوله: «ولم أعثر له على أثر إلا في كتاب "جريدة القصر وجريدة العصر": للعماد الأصبهاني الذي عاش في القرن السادس الهجري (519هـ / ت 597هـ) وموضوعه: أعيان وفضلاء عصره من الخلفاء إلى الشعراء الخ، ... وقد وردت

كلمة (مواطنة) مرة واحدة في هذا الكتاب الضخم في رسالة نقلها يمدح فيها كاتبها بقوله عنها: "مكتسبة من الأشباح القدسية علاء، ومنتسبة إلى الأشخاص الإنسية ولاء، مترقعة عن مواطنة الإغفال، ومقارنة أهل السفال". وواضح أن معنى (المواطنة) هنا هو: المصاحبة والعيش مع². وقد أرجع الجابري سبب غياب هذه اللفظة إلى كونها مترجمة من اللغات الأوروبية، فلفظة (مواطنة) قد وضعت كمصطلح لتدلّ على (Citoyenneté) بالفرنسية و(Citizenship) بالإنجليزية³، وتشير إحدى الدراسات إلى أنّ هذا المصطلح يقصد به العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات⁴. أمّا عبد العزيز قريش فقد خلص إلى أنّ: «المواطنة هي علاقة بين الفرد والدولة يحددها الدستور بما ينصّ عليه من حقوق وواجبات للمواطن ... وتشمل المواطنة مفهوم الانتماء والذي يعني انتساب الفرد لكيان ما»⁵. أمّا الكتاب المدرسي فقد عرّف (المواطنة) بأنّها: «صفة المواطن التي تدلّ على الانتماء إلى الوطن، له حقوق يستفيد منها، وعليه واجبات يلتزم بها»⁶.

من خلال هذه التعريفات يبدو أن مصطلح (المواطنة) قد استقرّ على اعتباره علاقة ارتباط الفرد بوطنه وما يستتبع هذه العلاقة من مبادئ (الحب، الحرية، والمساواة...) غير أن اختلاف أوضاع البلدان وأنظمتها تدعو لأن يفهم هذا المصطلح انطلاقاً من المرجعية الفكرية والظروف المحيطة بهذا المفهوم. فإذا كانت المساواة بُعداً من الأبعاد الأساسية للمواطنة، ويقوم في الفكر الغربي على إلغاء الاختلافات الجنسية والعرقية، بل حتى الدينية، فإنّ تطبيق هذا المبدأ في بعض المجتمعات يختلف إن قليلاً أو كثيراً، ذلك أن المساواة الذي يدعو إلى عدم التمييز بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، يختلف من مجتمع إلى آخر، بل من شخص إلى آخر في المجتمع ذاته، فإن كان طلب العلم في شريعتنا الإسلامية فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، فهناك أسر لا يُسمح فيها للبنات مواصلة التعليم بعد سنّ معيّن، كما نجد دولاً تمنع قيادة المرأة للسيارة بمبررات متعدّدة منها الفقهية، ومنها الأخلاقية ومنها الصحيّة.

5- مبادئ المواطنة أو كيف تتمثّل المواطنة؟: تتمثّل المواطنة في مجموعة مبادئ ومواصفات، منها الشعور بالانتماء إلى الوطن بكلّ خصوصياته، وتمثّل قيمه وعاداته وتقاليده، والتّمتع بالحقوق، وقد حصر عبد العزيز قريش مبادئ المواطنة في في ثلاثة أنواع رئيسية هي:

1-5- الحقوق المدنية: وتتمثل في الحقوق التي تضمن للفرد التمتع بالحياة (الحق في الجنسية، والإقامة، وحق الملكية الخاصة الكرامة، الأمن، الاستقرار، حرية إبداء الرأي...).

2-5- الحقوق السياسية: وتتمثل في حق الانتخاب والترشح والمشاركة في تسيير أمور البلد.

3-5- الحقوق الاقتصادية والاجتماعية: وتتمثل في الحق في العمل والعناية الصحية، وحق التعليم، والمحيط السليم، والحق في الملكية، وغيرها.

ومن المبادئ أيضا التزام المواطن بالواجبات، منها حب الوطن والدفاع عنه، واحترام رموز سيادته، والعمل على تطويره وازدهاره، والمحافظة على أملاك الدولة، ...

وينبغي أن يمارس المواطن هذه المبادئ ليس على المستوى المحلي أو الوطني فقط؛ بل أيضا على المستوى الإقليمي، والعالمي، وهذا ما يشكل خصائص مواطن القرن الحادي والعشرين⁷ الذي تحدّد مواصفاته حسب صموئيل هنتنغتون (Samuel Phillips Huntington) على النحو التالي:

- الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة؛
- احترام حق الغير وحياته؛
- الاعتراف بوجود ديانات مختلفة؛
- فهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة؛
- فهم اقتصاديات العالم؛
- الاهتمام بالشؤون الدولية؛
- المشاركة في تشجيع السلام الدولي؛
- المشاركة في إدارة الصراعات بطريقة اللاعنف⁸.

إن تبني هذه المبادئ يقتضي تنشئة المواطن عليها، وهو ما يدعى بالتربية على المواطنة «وتعني عملية الارتقاء بقيم المواطنة بشكل دائري بدءا باكتشافها مروراً بتعرّفها وتفضيلها من

بين غيرها، وتبنيها بشكل تلقائي»⁹ ولا يتحقق ذلك إلا بتضافر جهود طرفين، «الأول منهما هو الأسرة والمجتمع ويمثل المستوى الثقافي المجتمعي وتتحكم فيه القيم الأخلاقية، أما الطرف الثاني فهو المدرسة ويمثل المستوى التربوي، ويتحكم فيه المعيار المعرفي الوجداني، وتتوكل عن تكامل المستويين مفهوم التربية المدنية التي تعرف بأنها "مجموع المعارف والمهارات والخبرات التي يكتسبها الفرد داخل منظومة تربوية أو اجتماعية محددة، والتي تؤهله ليقوم بأدوار داخل مجتمعه (أسرة، مدرسة، المجتمع...) بكفاءة وفعالية على قاعدة المسؤولية واقتران الحقوق بالواجبات"»¹⁰ ومن هنا فالتربية المدنية عملية تسعى إلى توعية الأفراد وترسيخ ممارسة السلوك السوي فيهم، وبالتالي إكسابهم ثقافة المواطنة.

6- مبدأ المواطنة في المنظومة التربوية: لقد عرفت المدرسة الجزائرية تحولات في وظيفتها أملت الطُروف التي مرّت بها، وما عرفه ولا يزال يعرفه العالم من تطوّر مستمر في مختلف الميادين، لذلك كان لزاماً على المدرسة كمؤسسة من مؤسسات المجتمع ألا تنحصر مهمتها في نقل المعارف والعلوم فقط، بل عليها أن تهتمّ كذلك بتكوين أجيال قادرة على المشاركة في تنمية مجتمعهم ويدافعون عن مصلحته العامة¹¹، وبالتالي إعداد الأفراد للمواطنة المسؤولة، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، قامت وزارة التربية الوطنية بإصلاح المنظومة التربوية، وتبنّت مناهج جديدة، منها ما تمّ تطويعه ليتناسب مع الواقع الجديد، ومنها ما هو مستحدث لأن الواقع يتطلبه بالحاح، منها منهاج التربية المدنية الذي أدرجته منذ المراحل الأولى من التعليم، بغية تكريس قيم المواطنة لدى الناشئة من خلال تربيّتها على ممارسة الحقوق والواجبات، وتعويد المتعلّمين القدرة على التّعليل والمناقشة والحوار واحترام الآخر، وتمكينهم من معرفة المبادئ الأساسية للقانون، ومعرفة ثقافة المجتمع ونظامه ومؤسساته، وكذا تدريبهم على التفكير في حلّ مشاكل المجتمع والبحث عن السّبل النّاجعة لتنميّته وتطويره عبر المشاركة في مختلف الأبعاد¹² (الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها) وينبغي ألاّ ينحصر هذا الهدف فقط في منهاج التربية المدنية؛ بل أن يطبّق على مستوى كلّ المناهج الدّراسية. وإذا كانت عملية بناء المناهج المدرسية (Curriculum) أو تطويرها من صلاحيات وزارة التربية الوطنية، فإنّه يشترط على مؤلفي الكتب المدرسية التقيد بجميع الوحدات التي حدّدها المنهاج، ثمّ إن كان مبدأ ضمان التّكوين على المواطنة الغاية الثّانية الكبرى للمدرسة الجزائرية بعد "إثبات الشخصية الجزائرية وتوطيد وحدة الشعب الجزائري"¹³ فلا بدّ أن تعكسها

وحدات الكتب المدرسية باعتبارها تطبيقاً للمنهاج. وهو ما سنعرفه من خلال دراسة مفردات رصيد الكتب المقررة للمراحل الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي.

7- مفردات المواطنة في الكتب المدرسية للسنوات الثلاث الأولى من مرحلة التعليم الابتدائي: لقد تمكنت من خلال العناصر السابقة تحديد مفهوم المواطنة، وقد كانت الدراسات التي أنجزت حول موضوع المواطنة عوناً لي في حصر المفردات التي تحيل إلى هذا الحقل الدلالي، كما استرشدت ببعض المعاجم العامة منها والمختصة. وبعد حصر تلك المفردات من خلال الرصيد المفرداتي العام الذي يشكل محتوى هذه الكتب، وجدت أن عدد المفردات كثير ولا يسعني الوقت لدراسته كاملاً، فاكثفت بصياغة حقلين دلاليين فرعيين، وأرجأت الباقي لدراسة موسعة مستقبلاً، والحقلان هما: حقل الأسرة والحياة الاجتماعية، وحقل المؤسسات والخدمات.

7-1- الأسرة والحياة الاجتماعية: تتضمن الكتب المدرسية عدداً كبيراً من المفردات الدالة على هذا الحقل، لأنه يخص جانباً بالغ الأهمية بالنسبة لمضامين الكتب المدرسية، والتي تهدف إلى تعريف المتعلم بنفسه أولاً، وتكوينه اجتماعياً، من خلال تزويده بالمفاهيم، والقيم والعادات الاجتماعية المرغوب فيها. كما تعدّ مفردات هذا المجال واسطة يفتح المتعلم من خلالها على العالم المحيط به لتسميته، والتواصل مع الأفراد المحيطين به، وعملية الانفتاح هذه يجب أن تتم بشكل تدريجي انطلاقاً مما هو قريب من المتعلم، وهم أفراد الأسرة الصغيرة ثم الأسرة الممتدة، ثم المحيط، فالمجتمع بعاداته وتقاليده وكل مقوماته التاريخية والحضارية... حيث يمارس المواطنة بما تقتضيه من حقوق وما تفرضه من واجبات. والطفل في مراحله الأولى من التعليم يبدأ بالتعرف على الآخرين، وهي فرصة للاندماج مع أفراد خارج الأسرة (في الشارع، وفي المدرسة، وفي السوق...) والسؤال: ما المفردات التي تقدم للطفل ليعبر بها عن هذا الانفتاح والتفاعل مع الآخرين؟

- تقدم كتب السنة الأولى للطفل (المتعلم) مفردات تحيل إلى العلاقات الأسرية وما يربط أفرادها من روابط القرابة؛ مثل: (أب، وبابا، وأم، وماما، وأخ، وأخت، وجد، وجدة، وعم، وعمّة، وحال، وشجرة العائلة...) ثم تأتي مفردات أخرى هي امتداد للقائمة السابقة، يكتسبها الطفل بواسطة خلق الفرص، ويدخل ضمن مهام المدرسة التي تعمل على توسيع رصيد المتعلم وتحيله إلى عالم أوسع من خلال مفردات لأفراد خارج أسرته؛ مثل: (صديق، وضيّف، وشريك، زميل، تلميذ، معلم، طبيب، ممرض، بقال، تاجر، وسكّان، ومواطن

(...) كما يتضمّن مفردات معنويّة تشير إلى سلوك الأفراد والعلاقات التي تربط بينهم؛ مثل: (تَكَاتَرٌ، وسَاعَدٌ، واستَأْنَسَ، وتَضَامَنٌ، وَحُبٌّ، واختِرَامٌ، وأَخْلَاقٌ، وتَعَاطُفٌ، وإِحْسَانٌ، وَرَحْمَةٌ، إلخ...) وما ينبغي أن يسود بينهم من روابط (الأخوة، والوفاء، والصدق، والأمانة، وَحُبُّ الوطن...).

- ولا تقتصر المفردات على ما يدلّ على العلاقات الإنسانية الإيجابية فقط؛ بل كذلك السلبية التي يفترض من كلّ فرد (مواطن) تجنّبها؛ مثل: (استَهْزَأَ، وإِيْدَاءٌ، وَنَحَاصَمٌ، وَخِيَانَةٌ، وسُخْرِيَّةٌ، وسْتَمٌ...).

- وتتسع المفردات في السّنة الثّالثة لتشمل مفردات تحيل إلى القيم التّاريخية والوطنية لأنّ التّلميذ يباشر تعليم مادّة التّاريخ، فيكتشف مفردات جديد: مثل: (جُنُسِيَّةٌ، وأُمَّةٌ، وتَعَايُشٌ، وَجِيلٌ، وشُعْبٌ، وفِدَائِيٌّ، ومُجَاهِدٌ، ومُسَبِّلٌ، وعَسْكَرِيٌّ، وَجُنْدٌ، وَجَيْشٌ، شهيد...).

- ومن المفردات الواردة أيضاً: (ابْنُ العَمِّ، مِلْكِيَّةٌ قَرْدِيَّةٌ، صَلَةٌ رَحِمَ، عَقِيدَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ) وهذه الكلمات، وإن جاءت على مستوى واحد من حيث التّأليف، إلّا أنّها ليست كذلك بالنّسبة للدّلالة، فالكلمة الأولى (ابْنُ العَمِّ) تتركّب من مفردات حسيّة، وبالتالي يمكن تحديد معناها تحديداً دقيقاً، يقربها إلى فهم المتعلّم. وليس كذلك بالنّسبة للمفردتين (صلة رحم، وعقيدة إسلامية، وشخصيّة تاريخية...).

إنّ توزيع مفردات هذا الحقل الدّلالي قد أعدّ بشكل حلزوني، بحيث تمثّل الدّائرة الضّيقة فيه المفردات الخاصّة بالأسرة، وما يربط بين أفرادها من علاقات، ثمّ المجتمع، وما يميّزه من عادات، وتقاليد، ثمّ الوطن الذي يعتبر المجتمع الأكبر برموزه، وما يمثّله من سيّادة، ويتطلّبه من وفاء وتضحية.

2-7 - المؤسسات والخدمات: تُعدّ الإدارة مرفقاً من المرافق التي سخّرتها الدّولة خدمةً للمواطنين، وضماناً لحقوقهم، وقد توصّلت من خلال القائمة إلى أنّ:

- هناك مفردات تشير إلى مؤسسات ذات طابع اجتماعي، أو اقتصادي، أو ثقافي، وهي المرافق العموميّة؛ كل (عِيَادَةٌ، مُسْتَشْفَى، بَنْكٌ، وَحَدِيقَةٌ عُمُومِيَّةٌ، كَشَافَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، مَرْكَزٌ ثَقَافِيٌّ، الْحِمَايَةُ الْمَدَنِيَّةُ، قَصْرُ الثّقَاةِ، محطة، مطار، مناء، وَمَصْنَعُ الآلات، مُؤَسَّسَةُ الضّمَانِ

الإجتماعي، مصنع، مدرسة، محل تجاري، معمل...)، وما يستتبع هذه المؤسسات من أدوار ووظائف خدمة للمواطنين، منها: (حماية، انتفع، تطوع، شارك، عبّر، احترم، تعلّم، أغاث، تقدّم، أنلف، مناورة، المحافظة على البيئة، اشترى، باع، سافر...).

- ومنها ما يتعلق بالوطن والهوية وهي: (الجزائر، دولة، وطن، علم، غلم الوطن، الهوية، اللغة العربية، الإسلام، وثيقة الهوية، دولة، المغرب العربي، العالم العربي، عناصر الهوية، نشيد وطني، بطاقة التعريف، ملكية فردية، ملكية جماعية، عنوان، بطاقة التعريف (...).

- ومنها ما يشير إلى مؤسسات الدولة ذات طابع سياسي، وأسماء المنظمات والاحزاب؛ مثل: (دائرة، بلدية، ولاية، عاصمة، الجمهورية، رئيس الجمهورية، البرلمان، مجلس شعبي، الإتحاد العام للعمال الجزائريين، جبهة التحرير الوطني، شرطة، جيش، درك، مركز الشرطة...).

- كما تضمّن أيضا مفردات تتعلق بالمسؤولية والسلوك الديمقراطي ومفاهيم عن المصلحة العامة واحترام القانون، وحقوق الإنسان؛ مثل: (استفتاء، انتخاب، ونام، إخبار، حق، عقاب مادي، عقاب معنوي، غرامة، فاتورة، قانون، قانون عام، مخالفة، مسؤول، مسؤولية، مواطنة، واجب...).

تحيل المفردات السابقة إلى المفاهيم المرتبطة بالمواطنة، منها منظومة الحقوق المدنية المكفولة لكل مواطن، والوعي بطبيعة المجال الاجتماعي والاقتصادي، والثقافي والسياسي، وعندما تتبعت توزيعها لمست نوعا من التدرج، فينطلق من شخص الطفل ليغرس فيه مبدأ تقدير الذات، ومن ثمّ تقدير الآخرين، واحترام مؤسسات الدولة، ويكسبه وعيا من حيث أنّه مواطن يتمتع بحقوق، وعليه من واجبات، سواء تجاه أفراد أسرته أو تجاه زملائه في المدرسة، بل أيضا نحو وطنه الذي يجب أن يحافظ على مؤسساته، وإذا كانت مصالح الوطن امتدادا لمصالح الأسرة فهو يتعلّم معنى المسؤولية في البيت كأن يكون مسؤولا عن أدواته في المنزل أولّا، ثمّ في الدرس مع أقرانه، وأيضا في المحيط، وهكذا يتدرج إلى مسؤوليات أكبر، فيكسب وعيا بأنّ الأفراد والمجتمعات تسيّرهما مجموعة من القوانين التي يجب احترامها، وأنّ كلّ سلوك تترتب عنه نتائج قد تكون جزاء أو عقابا.

8- الخلاصة: من خلال دراسة الحقلين الدلاليين نخلص إلى أنّ رصيد الكتب المدرسية يتضمن مفردات كثيرة تحيل إلى مفهوم المواطنة، والتي يمكن استغلالها استغلالاً بيداغوجياً تربوياً لتنشئة جيل عارف بحقوقه وواجباته، محبّ لوطنه، قادر على صنع التّغيير والتّحوّل نحو الأفضل، فالمدرسة هي على رأس جميع قطاعات المجتمع التي بإمكانها غرس قيم المواطنة في نفوس النّاشئة بمختلف مستوياتها العمرية والعقلية.

9- النتائج:

- في القائمة الأولى المتعلقة بالمفردات الدّالة على الأسرة والعلاقات الاجتماعية، وردت مفردات ذات معاني متقاربة، بحيث يصعب على تلاميذ مستوى السّنة الثالثة وضع حدود واضحة بينها، مثل: (استَفَرَّ، وأَغْضَبَ) و(أَزْعَجَ، وأَسَاءَ، وأَذِي) و(أَصَغَى، واستَمَعَ) (أَبْنَاءَ، وأولاد، وذريّة) و(مُسَبَّل، وفدائي، ومُجَاهِد). فكيف لتلميذ ذي ست أو سبع سنين أن يميّز بين معاني هذه الكلمات، بل يصعب حتى على الذين قطعوا شوطاً في التّعليم، وعلاوة على ذلك فقد تضمّن الرّصيد مفردات لمفاهيم تفوق مستوى الطّفل؛ منها: (كثافة السّكّان، شخصيّة تاريخية، تَعَايش)، ويبدو أنّه من الأولى أن يركّز الرّصيد اللّغوي الذي يبنى عليه المحتوى التّعليمي على مفردات (الحب، والتّسامح، واحترام الآخر، والمساواة، والعدل) وغيرها من المفردات التي تحيل إلى المفاهيم التي تعكس السلوك الإيجابي، والأخلاق الطّيبة.

- أمّا بخصوص مبدأ التدرّج، فيلاحظ في القائمة الثّانية المتعلقة بالوطن والمؤسسات الوطنية أنّها تحوي مفردات تدلّ على المفاهيم المجردة، وما لا يدركه الطّفل من شؤون الوطن أكثر من المفردات التي تقرب إليه الصّورة الجميلة والمتنوّعة عن الجزائر، فتجعله متعلّقاً بها مفتخراً بالانتماء إليها.

- ومن جانب آخر، فقد أغفل الرّصيد المفردات الدّالة على التّنوع اللّغوي (الأمازيغية بلهجاتها)، والثّقافي للمجتمع الجزائري، وهو عامل يتحكم في التّمتّط المعيشي للمواطنين، بل أغفل أيضاً ما يحيل إلى التعددية السياسية التي تعبّر عن مبدأ الديمقراطيّة، وحرية الاختيار. إذ لم يذكر من الأحزاب إلّا حزب جبهة التّحرير الوطني، ولا يكفي أن نبرّر هذا الغياب بارتباط هذا الحزب بالثّورة التّحريرية، لأنّ المناهج تؤكد ضرورة أن تنطلق الوحدات التّعليمية من واقع المتعلّم، وبيئته.

- كما أغفل الرّصيد المفردات التي من شأنها أن تمدّ الطّفل بثقافة الآخرين، وهذا الانغلاق يتناقض مع مبدأ المواطنة التي تقوم على ثقافة الاعتراف بالآخر.

- إنّ الرّصيد اللّغوي لهذه الكتب جاء متخفّاً بالمفردات الدّالة على المواطنة، لكن رغم ذلك فهو لا يحقّق الكفاية المطلوبة، وهذا في اعتقادنا يعود إلى عدم انتقاء ما ينبغي تعليمه في كلّ مستوى من المستويات الثلاثة، فتحكّمت العشوائية، وضاعت من هذه الكتب ما من شأنه أن يجعل من المدرسة المكان المفضّل لازدهار كلّ فرد*.

10- الاقتراحات: إنّ تنشئة الطّفل الصّغير على حبّ الوطن لا يكون من خلال حشد قاموسه اللّغوي بمفردات تدفعه إلى التّفور، بل من خلال ممارسة الأنشطة التي من شأنها أن ترسّخ صفة المواطنة لديه، وهذا يدعو إلى:

- إعادة بناء محتوى الكتب المدرسية، بشكل تجسّد ما جاء في المنهاج، مع ربط محاورها بمتطلبات الأجيال. وتراعي في اختيار المفردات والمفاهيم المستوى المعرفي للتلميذ، وكذا محيطه الاجتماعي والثقافي.

- اختيار نصوص تعزز لدى المتعلّم الاندماج في المجتمع وتلقّنه القيم الوطنية، وتعرّفه على الاتّجاهات والقضايا المعاصرة، ممّا يجعل منه مواطناً إيجابياً.

- أن تعتمد خطة التّأليف تجعل المفردات فيه موجّهة في بناء النّصوص، مع إشراك الأساتذة المشرفين على التّدريس، والعارفين بشؤون التّلاميذ واحتياجاتهم في وضع الكتب المدرسية، مع فتح مجال للمنافسة في مجال التّأليف المدرسي، وعدم احتكاره في أشخاص يتمّ اختيارهم حسب اعتبارات ذاتية وليس حسب الكفاءة أو معيار علمي واضح.

11- الإحالات:

¹ مجمع اللغة العربية (الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التّراث)، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 2004، مكتبة الشّروق الدّولية، مادة (وطن).

² محمد عابد الجابري "المواطنة... والمواطن: جولة أولى!" مقال منزل يوم 25 / 01 / 2014. من الموقع <http://www.aljabriabed.net/textes.htm>

³ - المرجع نفسه.

⁴ ينظر: وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة، أطروحة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر بغزة: 2010، ص 103.

⁵ عبد العزيز قريش "مفهوم المواطنة وحقوق المواطن" ضمن ملتقى مبادرات التواصل والإعلام والتوثيق فاس الممتدى المتوسطى الدولى الثانى لجمعية المجتمع المدنى المنظم تحت شعار: "الكرامة الإنسانية هي الرأس مال الأساسى لوجود الإنسان" فاس، أيام: 4 و5 و6 يوليوز 2008. مقال منزل يوم: 2014/10/25، الموقع الإلكتروني: <http://www.oujdacity.net/international-article-12475-ar/>.

⁶ عبد الرحمن زعتوت وآخرون، التربية المدنية السّنة 1 متوسط، الجزائر: 2011-2012، ديوان المطبوعات المدرسية، ص 65.

⁷ منير مباركة، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر، خلاصة الدّراسة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة المدرسة العربية للدراسات الديمقراطية، الدّورة الأولى 2012/2011 بقطر، ص 3. منزل يوم 25 مارس 2015، من الموقع: <http://www.gulfpolicies.com/indix.php>

⁸ صامويل هنتجنتون، صدام الحضارات، ط1. بيروت: 1995، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، ص 20، نقلًا عن: عثمان بن صالح العامر "المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي" مجلة جامعة دمشق، دمشق: 2003، المجلد 19، العدد 1، ص 231.

⁹ المصطفى صويلح "التربية على المواطنة بين الخطاب والممارسة" مقال منزل يوم: 02 أبريل 2015، الموقع الإلكتروني: www.nichane.com/post/

¹⁰ عبد الغاني عارف "تنمية السلوك المدني في المؤسسات التعليمية... المفهوم وآليات التّفعيل" الاتحاد الاشتراكي: 2010/01/16. عن الموقع: <http://www.maghress.com/alittihad/102331>

¹¹ ينظر: لحسن بوتكلالي، مجلة عالم التربية، عدد 15/2004، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2004، ص 323. نقلًا عن: الطراف عبد الوهاب، السياسة وحقوق الإنسان، مقال منزل يوم: 28 مارس 2015 من الموقع الإلكتروني: <http://www.anfasse.org/index.php/>

¹² الطراف عبد الوهاب، السياسة وحقوق الإنسان، مقال منزل يوم: 28 مارس 2015 من الموقع الإلكتروني: <http://www.anfasse.org/index.php/>

¹³ ينظر: وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04-08 المؤرخ في 23 جانفي 2008، الجزائر: فيفري 2008، ص 14.

* كما أشير في المرجع السابق، ص 11.